الخلافة اربعين الف دينار كل عام فلما مات كانت اربعمائة دينار ولو عاش لنقصت ودخل
عليه مسلمة بن عبد الملك في مرضه فاذا قميصه وسخ فقال لامرأته الا تغسلونه قالت وهل له غيره
ودخل ابو امية الخصي غلام عمر الى مولاته فغدته عدسا فقال كل يوم عدس قالت يا بني هذا طعام
مولاك امير المؤمنين ولم يغتسل من جنابة منذ استخلف حتى مات وكان اذا دخل بيته القى
نفسه في مسجده فلا يزال يبكي ويدعو حتى يصبح وكان لا يسجد الا على التراب وكان يصلي
بالناس الجمعة في قميص به عدة رقاع فلامه بعض اهله فقال افضل القصد عند الجدة وافضل
العفو عند القدرة وكان اذا كتب كتابا فاستحسن الفاظه مزقه وكان اذا اراد معاقبة رجل
حبسه ثلاثا ثم عاقبه كراهة ان يعجل في اول غضبه وكان يقول نفسي تواقة ما من الدنيا
الا تاقت لما هو افضل منه فلما اعطيت منها ما لا شيء فوقه تاقت الى ما هو افضل منه وهو الاخرة
وكانت نفقته كل يوم درهمين وكان يسرج الشمعة ما دام في حوائج الناس فاذا فرغ منها اطفاها
ثم اسرج سراجه وكان للخليفة ثلاثمائة حرسي وثلاثمائة شرطي فقال عمر لهم ان لي عنكم بالقدر
حاجزا وبالاجل حارسا واطلقهم واشتهى تفاحا فاهدى له بعض اقاربه فقال للغلام ما احسنه
رده اليه واقرئه السلام قال يا امير المؤمنين ابن عمك والمصطفى قبل الهدية قال هي له هدية
ولنا رشوة وبلغه ان ابنه اشترى خاتما بالف دينار فكتب اليه بعه واشبع الف بطن واتخذ
خاتما من فضة درهمين واجعل فصه حديدا صينيا واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه
وقال مكحول ما رايت اخوف ولا ازهد منه كان اذا ذكر الموت اضطربت اوصاله وكان يجمع
الفقهاء كل ليلة يتذاكرون القيامة ثم يبكون حتى كانهم في جنازة واجتمع بنو مروان ببابه
فقالوا لابنه قل لابيك يعطينا حقنا كمن قبله من الخلفاء ويعرف لنا موضعه فاخبره فقال
قل لهم يقول اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وكان اذا املا على كاتبه يقول اللهم
اني اعوذ بك من شر لساني وكتب اليه عامل خراسان ان اهلها لا يصلحهم الا السيف والعصا فكتب
اليه كذبت بل يصلحهم العدل والحق فابسطه بينهم وكان يقول الفقه الاكبر القنع وكف الاذى
وقال اياكم والدخول علينا فانكم وان امرتمونا ونهيتمونا لم تسلموا من الاثم وقال ما قضى
الله بقضاء قط فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله وقال
لكل سفر زاد لا محالة فتزودوا لسفركم من الدنيا الى الاخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد
الله من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم اعوذ بالله
ان امركم بما انهى عنه نفسي فتخسر صفقتي لقد عنيتم بامر لو عنيت به النجوم لغارت او الجبال
لذابت او الارض لتشققت اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم لصائرون الى

احدبهما

احدهما وقال ان الله لم يخلقكم عبثا ولم يدع شيئا من امركم سدى ان لكم معادا ينزل الله
فيه للحكم والقضاء فخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم الجنة فاشترى قليلا بكثير
وفانيا بباق وخوفا بامن الا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيخلفها بعدكم الباقون كذلك حتى
ترد الى خير الوارثين في كل يوم وليلة تشيعون غاديا ورائحا قد قضى نحبه حتى تغيبوه في
صدع من الارض ثم تدعوه وقد خلع الاسباب وفارق الاحباب وسكن التراب وواجه الحساب
مرتهنا بعمله فقيرا الى ربه مما قدم غنيا عما ترك فاتقوا الله قبل نزول الموت وايم الله اني لاقول
لكم هذه المقالة وما اعلم عند احد من الذنوب ما عندي ثم وضع رداءه على وجهه فبكى حتى
ابكى وقال لو اراد الله ان لا يعصى ما خلق ابليس وقال ليس الزهد في الشهوات بل في الحلال
انما الحرام والشبهة فنار تسعر في بطون الآكلين وقال اذا ما يكينك القدرة من ظلم العباد
فاذكر قدرة الله عليك واعلم انك لا تفعل بهم امرا من الظلم الا كان زائلا عنهم باقيا عليك
فان الله ياخذ للمظلوم حقه من الظالم واياك اياك ان تظلم من لا ينتصر عليك الا بالله فانه
اذا علم النجا عنده عليه بصدق واضطرار انتصر له فورا امن يجيب المضطر اذا دعاه وقال
الوالي بمنزلة السوق يجلب اليها ما ينفق فيها فان كان برا اتوه ببرهم او فاجرا اتوه بفجورهم
وقال كن لصغيرهم ابا ولكبيرهم ابنا وللمثل اخا وعاقب بقدر الذنب والحسد وقال من عد كلامه
من عمله قل كلامه وقال من قرب الموت من قلبه استكثر ما في يديه وقال ان استغرقت ذكر الموت
كل ان تغص الليل كل فان وجيت الليل باق وكان بنو امية يسبون عليا كرم الله وجهه في الخطبة
فابطله وقرا مكانه ان الله يامر بالعدل والاحسان فهي الى الآن ولما مرض نظره الطبيب فقال
اراه قد سقي سما ولا امن عليه الموت فرفع بصره فقال ولا انا منه ايضا على من لم يسق السم
قال الطبيب هل احسست به قال نعم فقال فتعالج امير المؤمنين فاني اخاف ان تذهب نفسه قال
ربي خير مذهوب اليه والله لو علمت ان شفائي ان امسح اذني ما فعلت وقيل له اوصنا قال
احذركم مثل مصرعي هذا فانه لابد لكم منه ولما احتضر قال اخرجوا عني فقعد مسلمة وفاطمة
بالباب فسمعاه يقول مرحبا بهذه الوجوه ثم قرا تلك الدار الآخرة الآية ثم هدا الصوت
فدخلوا فوجدوه ميتا قال يوسف بن ماهك بينا نحن نسوي عليه التراب سقط كتاب
رق من السماء فيه بسم الله الرحمن الرحيم امان من الله لعمر من النار ومات بدير سمعان من عمل
حمص سنة احدى ومائة عن نحو اربعين سنة سمته بنو امية لتشديده عليهم واهاله
المتحرز وعرف غلامه الذي سمه فقال له ما حملك عليه قال الف دينار اعطيتها وان اعتق فاخذها
فوضعها في بيت المال وقال اذهب حيث لا يراك احد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)